مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموجود بلا أولية ، الباقى بلا آخرية ، الواحد فى الربوبية والالهية ، الفعال لما يريد وهو على كل شىء قدير . الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، هو الحى لاإله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . مالكم من دونه من ولى ولا نصير . كلم من شاء من عباده بما أراد كيف شاء آمراً لهم بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، ناهيا لهم عن الفحشاء والمنكر والبغى ، تمت كلماته صدقا وعدلا ، لامبدل لكلماته وهو السميع العليم .

والصلاة والسلام على جميع رسله المبشرين المنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، لاسيما من ختم الله به عقد الرسالة سيد العالمين عبده ورسوله محمدا ﷺ وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فان رسالة (القول المبين) التى تفضل الله

بالتوفيق إلى جمعها ونشرها بين الناس بعد طبعها أول مرة قد كان لها الأثر الحميد فى إرشاد مايحتاج إليه الناس من معرفة ربهم بما اشتملت عليه من خالص التوحيد . حتى نفدت نسخها وكثر الطلب عليها من زمن بعيد من محبى الحق ، الراغبين فى الاستمساك بهدى الله الذى أنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ . وحالت ظروف قاسية بسبب نفقات الورق والطباعة ، عن إجابة إخواننا فى الله إلى ماطلبوا — وقد يسر الله الأسباب التى هيأها لإعادة طبعها ونشرها ، كما يسر لجامعها أن يزيد فيها من المباحث النفيسة والفوائد المهمة التى تزيد قارئها استبصارا ومعرفة بما يحتاج إليه من العقائد والأحكام ، مع إبرازها فى عبارة سهلة الفهم ، موجزة اللفظ . يضاف إلى ذلك مابذل فيها من عناية بتصحيح كلماتها وجودة طبعها ، وتحرير مباحثها وتخريج ما احتوت عليه من الأحاديث مع شرح مايحتاج إلى الشرح من الآيات والأخبار الواردة عن الرسول ﷺ

وإنى أتقدم إلى الله بالرجاء والدعاء أن يضاعف النفع بها فى هذه المرة ، كما نفع بها أولا ، وأن يهدى إلى مافيها من الحق كل من قرأها وسمعها ، ويخرج بها الناس من ظلمات

الشبهات إلى نور الحق باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم إنه سميع مجيب .

كما أدعو إخواننا فى الله إلى نشرها بين الطبقات المثقفة المحبة للحق ، المستمسكة بالدين ، وما أشد حاجة المسلم إلى معرفة محتويات هذه الرسالة .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

القاهرة فى يوم الاثنين الموافق
١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين . لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ياعبادى فاتقون . والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) .

وروى أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم عن جماعة من الصحابة منهم معاوية وعلى وأبو أمامة وعوف بن مالك

وعمرو بن عوف المزنى أن رسول الله ﷺ قال :

« افترق اليهود والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة قالوا : فمن هى يا رسول الله ؟ قال التى تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابى » وقد روى بروايات مختلفة الألفاظ وكلها بمعنى الرواية المذكورة .

وفى معناه عند الشيخين عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع » . وعند البخارى « لتأخذن أمتى بما أخذ القرون قبلها » بروايات مختلفة الألفاظ .

أما الرواية التى رواها الغزالى فى الرد على الزنادقة من افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة كلهم فى الجنة إلا الزنادقة والقدرية ، فهى رواية موضوعة .

بعد تلك الآيات المحكمات ، فهذه رسالتى إلى أهل الإسلام ووصيتى وعهدى بين الله وبين الناس أنى بلغت ما بلغه رسول الله ﷺ لهذه الأمة من الحق فيما اختلفوا فيه ، كما أنى مطالب بين يدى الله كل من اطلع عليها ثم لم يعمل بما فيها ، فانها مشتملة على ما كان عليه هو وأصحابه

فى المسائل التى وضعت من أجلها ، ولعلها تكون معذرة لى عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى القادرين على التبليغ عن إهمالهم تبليغ دعوة رسول الله ﷺ على الوجه الصحيح ، وحجة لى عنده ، كما أنها حجة لله على من خالف ما فيها (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذى أنزل على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه ومن تبعهم بخير وإحسان قوله عز وجل (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله فهذه رسالة تشتمل على أهم ما يلزم المسلم معرفته من عقائد دينه وأحكامه سميتها بـ « القول المبين فى حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والصالحين » ورتبتها على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، وأودعتها من الأبحاث العلمية على صغرها ما لايتيسر الحصول عليه من كبار الكتب . والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها كل من قرأها وسمعها ، وأن يتفضل بالمعونة والتوفيق والهداية الى الصراط المستقيم إنه هو السميع البصير ، البر الرحيم .

مقدمة

اعلم أنه قد كثر اختلاف الناس قديماً وحديثاً فى حكم من دعا صاحب قبر أو توسل بمخلوق من المخلوقين الى الله عز وجل بعد انتقاله الى الدار الآخرة ممن عرفوا بالتقوى والاستقامة على الطريق الحق . ونحن نبين حكم هذه المسائل على الوجه الذى بينه الكتاب والسنة واتفقت عليه كلمة المهتدين من هذه الأمة . فنقول وبالله التوفيق :

لابد قبل الكلام على هذه المسألة من معرفة أمور :

الأول : الوقوف على مشركى العرب وفرقهم ، وبيان هذا الأصل ينفع فى معرفة الحق فى هذه المسائل ، ويرد قول من قال إن آيات القرآن قد نزلت فى عباد الأصنام فقط ، فلا يصح تنزيلها على غيرهم ممن آمن وصلى وصام ، فان هذا القول قد اغتر به كثير من علماء المسلمين . وبيان فساده من وجهين :

الأول : أن أئمة المسلمين من أهل التفسير والحديث متفقون على أصل مشهور ، وهو أن العبرة فى التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فاذا كانت الآيات التى ذمت من كانوا يدعون الأصنام نزلت بسببهم ، فانها

بالقاعدة المتقدمة تعم كل من عمل عملهم .

والوجه الثانى : الذى يبطل حمل الآيات على أهل الأصنام وحدهم أن المشركين كانوا أربع فرق :الفرقة الأولى تنادى الجن ، والفرقة الثانية تنادى الأنبياء والصالحين ، والثالثة تنادى الأصنام ، والرابعة تنادى الملائكة ،وكل فرقة تستغيث وتنادى من تدعوه . ومن هذه الفرق من كان يعترف بالبعث ، ومنهم من كان ينكره ، لكن الفرقة التى كانت تعترف بالبعث ؛ تعترف به على وجه غير صحيح ، إذ كانت تزعم أنها مهما عملت من الذنوب فان مآلها إلى الجنة ، معتمدة على أن من تستغيث بهم، وتدعوهم من دون الله يخلصونها بما لهم من المنزلة والجاه عند الله تعالى

وهذا البيان الذى ذكرناه من افتراق المشركين إلى هذه الفرق قد بينه القرآن الكريم وتكلم مع كل فرقة بحسب ما تعتقد . وإليك الآيات التى تدل على ذلك وهى قاطعة فيما قلنا :

القرآن وفرقة دعاة الجن

قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا [1]

(١) اخترعوا

له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصـــــفون)
« سورة الأنعام »

وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً)«سورة سبأ» إلى غير ذلك من الآيات التى شرحت عبادة الإنس للجن .

القرآن ودعاء الناس للأنبياء والصالحين

وقال تعالى فى شأن الفرقة التى كانت تدعو الأنبيـاء والصالحين وتناديهم وتستغيث بهم (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيديبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون) سورة الأعراف

وقال تعالى فى شأن هؤلاء أيضاً (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلايملكون كشف الضرعنكم ولا تحويلا.

أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) سورة الاسراء .

ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام ترجو رحمة أو تخاف عذابا ، وإنما ذلك يكون للذين يعبدون الله حق العبادة . والآية تشمل بعمومها من كانوا يدعون الملائكة ومؤمنى الجن والانس . وسيأتى الكلام على هذه الآية مفصلا فى محله .

القرآن وعبادة الأصنام

وأما الذين كانوا يدعون الأصنام فهم أحط الفرق من المشركين ، إلا أن كل هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل شىء هو الله تعالى ، وأن دعاءهم لمن يدعون ليقربوهم إلى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعا بقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) سورة الزمر . والآيات فى عبادة الأصنام كثيرة . وسيأتى مزيد لهذا البحث فى الكلام على بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن .

ومن هذا يتبين أن قول بعض الناس إن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم قول باطل ، فان

القرآن تكلم مع كل الفرق كما بينا . فاحفظ هذا الأصل فانه ينفعك فى كثير من هذه المسائل التى اختلفوا فيها .

القرآن وعبادة الملائكة

وأما الفرقة التى كانت تعبد الملائكة ليشفعوا لهم عند الله فهى التى قال الله فيها (قل ادعوا الذين زعمتهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير)
سورة سبأ

وسيأتى الكلام عليها مفصلا فى الكلام على أقسام الشرك

وقال (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى . وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ـ إلى قوله ـ وهو أعلم بمن اهتدى)سورة النجم

وإلى هنا نشرع فى المقصود من وضع هذا الكتاب وبالله التوفيق .